

تفسير ابن كثير

يقول تبارك وتعالى : { قل يا محمد معظما لربك وشاكرا له ومفوضا إليه ومتوكلا عليه اللهم مالك الملك } أي لك الملك كله { تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء } أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه الأمة لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق ورسول الله إلى جميع الثقليين : الإنس والجن الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبيا من الأنبياء ولا رسولا من الرسل في العلم بالشرعيته وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية وكشفه له عن حقائق الآخرة ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار ولهذا قال تعالى : { قل اللهم مالك الملك } الآية أي أنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد كما رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال { وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم } قال الله ردا عليهم { أنهم يقسمون رحمة ربك } الآية أي نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ولنا الحكمة البالغة والحجة التامة في ذلك وهكذا يعطي النبوة لمن يريد كما قال تعالى : { الله أعلم حيث يجعل رسالته } وقال تعالى : { انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض } الآية وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة إسحاق بن أحمد من تاريخه عن المأمون الخليفة أنه رأى في قصر ببلاد الروم مكتوبا بالحميرية فعرّب له فإذا هو بسم الله ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك إلا ينقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك وملك ذي العرش دائم أبدا ليس يفان ولا بمشترك وقوله تعالى : { تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل } أي تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم تأخذ من هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان وهكذا في فصول السنة ربيعا وصيفا وخريفا وشتاء وقوله تعالى : { وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي } أي تخرج الزرع من الحب والحب من الزرع والنخلة من النواة والنواة من النخلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء { وترزق من تشاء بغير حساب } أي تعطي من شئت من المال ما لا يعد ولا يقدر على إحصائه وتقدر على آخرين لما لك في ذلك من الحكمة والإرادة والمشئنة والعدل قال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا جعفر بن جسر بن فرقد حدثنا أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس Bهما

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [اسم الأعمم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير }]